**النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه**

**أولا: مفهوم النقد الانطباعي:**

هو نقد لم يصدر عن تفكير عميق، ولا عن تأمل ودراسة معمقة، يخضع للمزاج الخاص الفردي، لذلك يكون أحكاما جزئية عامة سريعة غير معللة، يصف فيها الناقد النص ولا يبين الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

ولأنه مبني على الانفعال والتأثر والنظرة العجلى، ولم يبن على قواعد وأسس علمية صحيحة متفق عليها، فإنه يتميز بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام.

وبالنظر إلى ذلك، يمكن الجزم بأن كثيرا من الآراء النقدية التي شكلت اللبنات الأولى للنقد الأدبي العربي في عصوره الأولى، تندرج ضمن هذا النوع من النقد، انطلاقا مما اتصفت به من بساطة في التعليل وانقياد واضح للإحساس والانطباع، واقتصاره على عبارات معينة، كأن يقول الناقد: هذا أشعر بيت، هذه أجمل قصيدة، هذا أشعر الجن والإنس...

**ثانيا: نماذج وصور منه:**

**أ/ العصر الجاهلي:**

جاء في رواية عن المرزباني: ''مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم، فلما بلغ قوله:

**وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمّ عِنْد إذكاره \*\*\* بِناجٍ عليه الصّيْعرية مُكدَمِ**

فقال طرفه وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل، وهو يريد أن الشاعر وهو يصف الجمل، ذكر من أوصافه ما يخص الناقة (الصيعرية)، وهي سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق الجمل. وقد استعملها المسيب استعمالا خاطئا.

ومن ذلك ما يروي أن: النابغة الذبياني كان تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه، الشعراء فتعرض عليه أشعارها. فكان أول من أنشده الأعشى: ميمون بن قيس، أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

**لَنَا الجفنات الغرّ يَلْمَعْنَ بالضّحَى\*\*\*وَأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَما**

**وَلَدْنا بَنِي العَنْقاء وابني مُحـرّق\*\*\*فأكْرِم بنا خالا وأَكرِم بنا ابنما**

فقال له النابغة: ''أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك''.

وروي أن الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر، أيهم أشعر؟ . فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر، يتلألأ فيها البصر فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا

مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر''.

(حبر): مفردها حبرة وهي ملاءة من الحرير كانت ترتديها النساء في مصر عند خروجهن. خرزها: الخرز، الخياطة، والمزادة وعاء يحمل فيه الماء في السفر.

روي أن امرئ القيس وعلقمة احتكما لزوجة امرئ القيس أم جندب للفصل بينهما أيهما أشعر على أن ينظما شعرا على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

**فللسوط الهوب، وللساق درة\*\*\*وللزجر منه وقع أخرج مهذب**

(ألهوب): اجتهاد من الفرس في عدوه. درة: إذا غمر الفرس بالساق أسرع. الأخرج: ذكر النعام. مهذب: المسرع في حربه.

وقال علقمة:

**فأدركهن ثانية من عنانه\*\*\*يمر كمر الرائح المتحلب**

(الرائح): السحاب. المتحلب: الساقط المتتباع. أو هو السائل كأنه لسرعته لا يجري ولا يتحرك.

وبعد الانتهاء حكمت أم جندب لعلقمة محتجة بأن زوجها أجهد فرسه بسوطه وأتعبه بساقه على عكس علقمة.

فهذه الأحكام النقدية جميعها عامة وليدة ذوق فطري متعجل، كما هو الشأن في أغلب نماذج العصر الجاهلي، إذ تجمع بين الجزئية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي، دون اللجوء إلى التعليل.

**ب/ العصر الإسلامي:**

ولقد استمر هذا النوع من النقد في العصر الإسلامي، مع تبدل في وجهة النظر للشعر وفي الموقف منه، إذ أصبحت الأحكام النقدية تعتمد الصدق والقيم الخلقية، وتستمد معاييرها من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وقد جمعت المصادر عددا من الروايات والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم توضح مدى حرصه على أن يتخذ الشعراء من القرآن الكريم منهجهم، ومنها أن النابغة أنشده قائلا:

**أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى\*\*\*ويتلو كتابا كالمجرة نيرا**

**بلغنا السماء مجدنا وجدودنا\*\*\*وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا**

فقال له رسول الله: ''إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة يا رسول الله. فقال: إن شاء الله.''

وأنشده حسان بن ثابت بعد أن هجاه أبا سفيان:

**هجوت محمدا فأجبت عنه\*\*\*وعند الله في ذاك الجزاء**

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''جزاؤك عند الله الجنة يا حسان''.

وأثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يستحسن قول طرفة بن العبد:

**سَتُبدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا\*\*\*ويأتيكَ بالأخبار من لم تزوّدِ**

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول على شعر ذي الرمة: ''إنما شعره نقط عروس: يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح البعر''.

فشعر ذي الرمة –حسبه- جيد في أول إنشاده، فإن أعدت ذلك ضعف وذهب رونقه تماما كما تختفي نقط العروس بعد الغسل ورائحة بعر الظباء بعد مدة من شمها.

(نقط العروس): ما تنقط به المرأة خدها من السواد للتزيين. مشم: رائحة طيبة تشم لما تأكله الظباء من نبات طيب الرائحة كالشيخ والقيصوم، فإذا جف صار كسائر البعر.

روى ابن سلام أن عكرمة بن جرير سأل أباه عن الشعراء، فقال: ''الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر''. وحكم الأخطل على جرير بأنه كان ''يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر''.

وأشهر الأمويين دراية بالشعر، وقربا من الشعراء عبد الملك بن مروان لكثرة بقائه في الحكم من جهة، ولتذوقه الشعر من جهة أخرى، وله مواقف من أقوال الشعراء سنختار منها يروى أن عبد الملك بن مروان اعترض على قول الشاعر فيه:

**على ابن أبي العاص دلاس حصينة\*\*\*أجاد السدي سردها وأذالها**

**يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها\*\*\*ويستضلع القوم الأشم احتمالها**

مفضلا عليه قول الأعشى لقيس بن معد يكرب:

**وإذا تجيء كتيبة ملمومة\*\*\*شهباء يخشى الزائدون نهالها**

**كنت المقدم غير لابس جنة\*\*\*بالسيف تضرب معلما أبطانها**

وسبب الرفض ميل الخليفة للمبالغة رغم معرفته بأن قول الشاعر فيه مناسب للوضع الحربي جدا.

(دلاص): دروع لينة براقة ملساء. السدي: صانع السداء وناسج الثوب. سردها: نسجها. أذالها: أطال ذيلها. يؤود: يثقل ويصعب. قتيرها: مسامير الدرع أو الدرع نفسها. القرم: السيد العظيم. الأشم: المرتفع.

شهباء: صافية الحديد. نهال: الرماح المتعطشة للدماء. الجنة: الدرع الواقية. معلما: متحديا أعداءه بأن يعلمهم مكانه في الحرب.

وروي عنه أنه وقف موقفا سلبيا من قول أحد الشعراء:

**أهيم بدعد ما حييت فإن أمت\*\*\*فواحزني من يهيم بها بعدي**

وعدله بقوله هو:

**أهيم بدعد ما حييت فإن أمت\*\*\*فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي**

وعليه ظل النقد العربي وحتى العصر الأموي يستلهم الذوق والشعور، وبقي على حاله جزئيا بسيطا فطريا، لا يرجع الناقد فيه إلى مقاييس دقيقة بل إلى ذوقه الأدبي المرهف.